١٥ ـ الحديث الخامس عشر
«حفظ اللسان واكرام الضيف والجار»:

عن أبي هريـــرة (رضي)، قال: قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليـــوم الآخـر فليقلْ خيراً أو ليصمتْ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» رواه البخاري ومسلم.

٢ ـ اهمية الحديث:

* قال الغزالي «رحمه الله تعالى»: اعلم ان ماذكره النبي (ﷺ)، اي عن الصمت، هو من فصل الخطاب، وجوامع الكلم، وجواهر الحكم[١].
* ان من يتـدبـر معنىٰ هذا الحـديث الشـريف يجده جامعـاً شامـلاً، فاللسان مطية لنصف المنجيـات والمهلكـات على السـواء، وان استعمله في حدود ما سمـح به الرسول الكريم، عصم نفسه من معظم الشرور الدنيوية والاخروية، ولايبقى بعـدُ القلب واللسـان من اسبـاب السـلامـة او الهـلاك، الا حسن التخلق مع النـاس، وهـو ان احسن مع جاره وضيفـه، فقـد استـوفى جميـع مظـاهـر ومظانّ الاحسان المندوب والواجب، لاندراج هذه المظاهر والانواع، تحت الاحسان الى الجار والضيف، لان الناس إما قريب منك او بعيد عنك، ومافي الحديث شامل للصنفين جميعاً، اذ محال ان يحسن الانسان الى جاره وضيفه، ولا يحسن الى أبويه وأقاربه وأصدقائه وأولاده وزوجته وغيرهم.
* ذكره الامام عبدالله بن أبي زيد «امام المالكيه بالمغرب في زمنه» من الاحاديث الاربعة التي تتفرع عنها معظم آداب الخير[٢].

---

(١) الاذكار/ ص ٢٩٧.

(٢) شرح مسلم مجلدا ج٢ ص ١٩.

٣ - بعض رواياته وسبب وروده :

* في بعض الروايات: فلا يؤذي جاره: وفي بعضها: فليحسن قرى ضيفه، وفي بعضها: فليصل رحمه، بدل: ذكر الجار، وفي البخاري: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن قرى الضيف، قيل: يارسول الله، وما قرى الضيف؟ قال: ثلاثة، فما كان بعد فهو صدقة».
* وفي الصحيحين: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا: وما جائزته؟ قال: يوم وليلة. قال: والضيافة ثلاثة ايام وما كان بعد ذلك فهو صدقة».
* وخرّج الامام احمد وابن حبان من حديث البراء بن عازب: ان رجلاً قال: يارسول الله علمني عملاً يدخلني الجنة، فذكر الحديث، وفيه قال: فاطعم الجائع واسق الظمآن وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكفّ لسانك الا من خير»[1].

٤ - شرح الحديث:

أ) البيان اللغوي:

* يؤمن بالله: إيماناً كاملاً، او المقصود: المبالغة في الحث على هذه الأمور، وليس المقصود بها الحصر فيها.
* فليقل خيراً: كلاماً نافعاً، ويثاب عليه.
* فليكرم جاره: يحسن اليه، ويتحمل ما صدر منه، ويتجنب الاساءة اليه.
* فليكرم ضيفه: يظهر له السرور، ويساعده بالميسور، ويحسن ضيافته مدة ثلاثة ايام.
* من كان: كان تزاد في هذا الموضع للتأكيد[2].

ب) المعنى الاجمالي:

إن خصال الايمان كثيرة، وشعبه بضع وسبعون، ولكن بعضها اعظم اعتباراً

(١) جامع العلوم/ الطبعة القديمة ص ١١٦ وما بعدها، وفي الترمذي من حديث طويل: وأحسن الى جارك تكن مؤمنا.
(٢) راجع تفصيل ذلك في القسم الثاني من هذا الشرح.

وآثاراً من بعض، ثم ان الايمان في ذاته يتفاضل ويتفاوت من حالة الى حالة، ومن شخص الى آخر، ومن زمن الى آخر، ومن خصلة الى أخرى، يتفاوت من حيث قوة وصدق التصور وثبات الاعتقاد والتصديق، ويتفاوت من حيث الآثار والثمار والالتزام ودرجة فاعلية الالزام، ثم ان الايمان بالله تعالى وان كان وحده إن توافرت شروطه يكفي لتحقيق أمثل وأكمل مظاهر السلوك، الا ان الايمان باليوم الآخر يشد وثاقه، ويحقق اتساقه، ويشحذ فاعليته حين يجتمعان.

وقد أراد الرسول (ﷺ) أن يرفع من شأن خصال ثلاث من خصال الخير والبر، ألا وهي الاقتصاد في القول، والالتزام بالخير فيه، وعدم استعماله فيما لاينفع الأمة في دينها ودنياها مما يرضي الله تعالى، والاحسان الى الجار وكف الاذى عنه، وحسن اكرام الضيف، فجعل هذه الخصال ثمرات طبيعية لاينبغي ان تتخلف عن الايمان، كما جعلها مظاهر ودلائل على صدقه وكماله، فصلوات الله على من كان اصدق قائل وأحكم صامت، وعلى افضل من حفظ الجوار وأدى حق الضيافة[1].

٥ ـ بعض مايرشد اليه الحديث:

* ماليس بخير من الكلام فالسكوت عنه افضل من التكلم به، الا ماتدعو اليه الحاجة.
* وجوب اكرام الضيف، وبخاصة للقادر على ذلك، في اليوم الاول وليلته، كما ذهب الى ذلك احمد بن حنبل والليث، وذهب البعض الآخر الى أنه ليس واجباً ، وانما هو سنة مؤكدة[2].
* ينبغي الامساك عن الكلام الذي ليس فيه خير ولا شر، لانه مما لايعني، ومن حسن اسلام المرء تركه ما لايعنيه كما سبق، ولانه قد ينجرّ الى الحرام.
* الاعمال داخلة في حقيقة الايمان كما هو رأي اهل السنة والجماعة، لانه عد هذه الخصال الثلاث من خصال الايمان.

---

(١) وقال القاضي عياض في معناه: ان من التزم شرائع الاسلام لزمه اكرام جاره وضيفه وبرهما ـ شرح مسلم مجلدا ج٢ ص ١٨.

(٢) جامع العلوم/ الطبعه القديمة ص ١٢٢.

* ارتباط الخلق في الاسلامِ بالعقيدة نقصاً وكمالاً.
* اهم اركان الاعتقاد المؤثر في السلوك، الايمان بالله، والايمان باليوم الاخر، وقد تلازما في الذكر في مواضع كثيرة من القرآن والسنة، في معرض الحضّ على فعل الخير والتمسك بالفضائل.
* تأكيد حق الجار وحسن الجوار، بالاجتهاد في سوق الخير اليه، ودفع الاذى عنه، حتى ولو كان من غير المسلمين.
* التكلم بالخير خير من السكوت عنه، والصمت عن الشر خير من التكلم به، فأما الصمت الدائم فبدعة منهي عنها.

٦ ـ بعض تطبيقات الحديث:

* افرد النووي في الاذكار ابواباً في حسن واداب الضيافة منها:
١ ـ باب استحباب قول صاحب الطعام لضيفه، اذا رفع يده من الطعام: كل، وتكرير ذلك عليه، مالم يتحقق انه اكتفى منه، وكذلك يفعل في الشراب ونحوه، كما روي عنه (ﷺ): انه فعل ذلك مع ابي هريرة وقد سقاه اللبن، فمازال يقول: اشرب، حتى قلت: لا، والذي بعثك بالحق لا اجد له مسلكاً.
٢ ـ باب «دعاء الانسان وتحريضه لمن يضيف ضيفاً: فقد جاء رجل الى رسول الله (ﷺ) ليضيفه، فلم يكن عنده ما يضيفه، فقال: الا رجل يُضيف هذا رحمهُ الله، فقام رجل من الانصار فانطلق به.
٣ ـ باب الثناء على من أكرم ضيفه، فقد ورد أنه (ﷺ) قال للانصاري الذي اكرم ضيفه وآثره على صِبيته: قد عجب الله من صنعكما بضيفكما الليلة،
٤ ـ باب استحباب ترحيب الانسان بضيفه، وسروره به، كما فعل الانصاري حين استضافه النبي (ﷺ) وصاحباه[1].

---

(١) الاذكار ص ٢١٠ ـ ٢١٥، وقيل للاوزاعي: ما تقول فيمن قدّم الى ضيفه الكامخ والزيتون وعنده اللحم والعسل والسمن؟ فقال: هذا لا يؤمن بالله واليوم الآخر، ويحكى عن الأبرشي الكلبي انه كان عنده ضيف، فقام ليصلح المصباح، فقال له صاحب المجلس: مه، إنه ليس من المروءة ان يستخدم الرجل ضيفه/ انظر الغيث المسجم ج١ ص ٤٣٧.

* وفي رياض الصالحين: باب كراهة التقعير في الكلام والتشدق فيه، وتكلف الفصاحة، واستعمال وحشي اللغة/ص٥٦٥

* أورد النووي مبحثاً لحفظ اللسان، وقد استوعب في الاذكار أحكام الألفاظ، ومما قاله في ذلك: ينبغي لكل مكلف ان يحفظ لسانه عن جميع الكلام، الا كلاماً تظهر فيه المصلحة، وحتى ولو استوى الكلام وتركه في المصلحة، فالسنة الامساك عنه، لان الغالب الانجرار الى الكلام الحرام او المكروه، وبعد ان روى الحديث قال: هذا الحديث نص صريح في انه لا ينبغي ان يتكلم الا اذا كان الكلام خيراً، وهو الذي ظهرت له مصلحة، ومتى شك في ذلك فلايتكلم، ثم نقل عن الشافعي قوله: اذا اراد الكلام فعليه ان يفكر قبل كلامه، فان ظهرت له المصلحة تكلم، وان شك لم يتكلم[1].

* ان كثرة الكلام بغير ذكر الله تقسي القلب، وان ابعد الناس من الله القلب القاسي[2].

* عن الفضيل بن عياض: من عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لايعنيه[3].

* مذهب احمد بن حنبل: ان الجار يلزمه ان يمكن جاره من وضع خشبه على جداره اذا احتاج الى ذلك، كما ورد في حديث خاص بذلك، اذا كان لا يضرّه[4].

* قال ابن مسعود (رضي): اياكم وفضول الكلام، حسب امريء ما بلغ حاجته، وقال عمر بن الخطاب (رضي): من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه[5].

* علماء الحنابلة في مشهور مذهبهم منعوا الأفراد من تحصيل حقوقهم بأنفسهم بغير قضاء، واستثنوا من ذلك مسألة الضيف، بل لقد ذهب ابن حزم الى ابعد من ذلك فجعل مسألة الضيف اصلاً استدل به على جواز اخذ الحق بغير قضاء، وذلك إشارة الى قوله (ﷺ): ان نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا، فان لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف[6].

---

(١) الاذكار/ ص ٢٩٤، ٢٩٥. (٢) السابق ص ٢٩٦ ـ وهذا جزء من حديث.
(٣) السابق ص ٢٩٨. (٤) جامع العلوم/ ص ١٢٠. (٥) جامع العلوم ص ١١٦. (٦) نظرية الدعوى/ د. محمد نعيم القسم الاول ص ١٥٩، ١٦٠، ١٦١.

* وقد افرد العز بن عبدالسلام فصلاً خاصاً بآداب الضيافة واحكامها في قواعده، ومن ذلك:

١ ـ اذا وضع الطعام بين ايدي الضيوف، ودخل الوقت الذي جرت العادة باكلهم فيه، فانه يباح الاقدام عليه.

٢ ـ لا يجوز للضيف ان يطعم السنور «القط» والسائل مالم يعلم من باذل الطعام الرضا بذلك.

٣ ـ اذا اكل الضيف فوق شبعه، فينبغي ان لايحرم ذلك عليه[١].

* وقال: لاينبغي لك ان تتكلم الا بما يجر مصلحة او يدرأ مفسدة، ثم استشهد بالحديث[٢].

* قال ابن تيمية: فالتكلم بالخير خير من السكوت عنه، والصمت عن الشر خير من التكلم به، والصمت الدائم بدعة مذمومة[٣].

* قال رجل لسلمان الفارسي (رضي): أوصني، قال: لاتتكلم، قال: مايستطيع من عاش في الناس ان لايتكلم، قال: فان تكلمت، فتكلم بحق او اسكت، وقال ابن مسعود (رضي): ماعلى الارض احق بطول سجن من اللسان، وقال وهب بن منبّه: اجمعت الحكماء على ان رأس الحكمة الصمت[٤].

* افرد النووي في شرح مسلم باباً لاكرام الضيف وفضل ايثاره[٥].

* كتب الشيخ محمد الصواف في مجلة الرابطة مقالاً بعنوان: معالجة الا[illegible] لمشاكل اللسان، وقد أورد فيه كلاماً لابن مسعود كان يقوله وهو يلبي [illegible]: يا بالسان قل خيراً تغنم، وان سكتّ عن شر تسلم . .[٦].

* قيل في منثور الحكم: اذا تمّ العقل نقص الكلام[٧].

* وقال احد البلغاء: عيٌّ تسلم منه خير من منطق تندم عليه[٨].

* قال الشاعر:

وفي الصمت ستر للعييّ وانما ... صحيفة لبّ المرء ان يتكلما[٩]

---

(١) القواعد ج٢ ص ١٣١، وانظر بقية الاحكام والاداب ص ١٣١، ١٣٢.

(٢) قواعد الاحكام ج٢ ص ٢١١. (٣) الفرقان ص٤٧.

(٤) جامع العلوم/ ص ١١٦. (٥) شرح مسلم ج١٤ ص ١١. (٦) العدد ٨/ ١٩٧٠م.

(٧)، ادب الدنيا ص ٢٧٠. (٨) السابق ص ٢٧٠. (٩) السابق ص ٢٦٧.

* قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: من لم يعدّ كلامه من عمله كثرت خطاياه.[1].

* قال رجل لحماره حين عثر به: تعس الحمار، فأمر كاتب السيئات ان يجعل ذلك سيئة[2].

* ان الرسول (ﷺ) ضافه ضيف كافر فأمر له (ﷺ) بشاة فحلبت فشرب حِلا بها ثم أخرى الى سبعة[3].

* اورد النووي أحاديث بكراهة الحديث بعد العِشاء واستثنى بعض الأغراض كالحديث مع الضيف[4]

٧ ـ مناقشة حول الحديث:

س١) اذكر بعض حقوق الجيران؟ جـ١) اذا استعانك اعنته، واذا استقرضك اقرضته، واذا افتقر عدت عليه، واذا مرض عدته، واذا أصابه خير هنأته، واذا اصابته مصيبة عزيته، واذا مات اتبعت جنازته، ولا تستطل عليه بالبناء، فتحجب عنه الريح الا باذنه، ولاتؤذه بقتار ريح قدرك الا ان تغرف له منها، وان اشتريت فاكهة فاهد له، فان لم تفعل فأدخلها سراً، ولا يخرج بها ولدك ليعيظ بها ولده[5].

س٢) هل الصمت محمود مطلقاً؟ جـ٢) لا، بل ان اعتقاد ان ذلك من القربات منهي عنه، فقد ورد انه (ﷺ) عن صيام الصمت[6]. وقد قال بعض الفصحاء: اعقل لسانك الا عن حق توضحه، او باطل تدحضه، او حكمة تنشرها، او نعمة تذكرها[7].

ونقل عن القشيري انه قال: السكوت في وقته صفة الرجال، والكلام في موضعه من اشرف الخصال.

* وقال ابن رجب: ليس الكلام مأموراً به على الاطلاق، ولا السكوت كذلك،

---

(١) السابق ص ٢٦٧. (٢) جامع العلوم ص ١١٥. ((٣)) شرح مسلم ج١٤ ص ٢٥.
(٤) الاذكار ص ٣٤٠. (٥) وقد وردت في حديث إلا ان رفعه ضعيف
والظاهر انه من تفسير احد رجال سنده/ انظر جامع العلوم ص ١٢٠.
(٦) ـ الجامع ص ١١٧. ((٧)) أدب ص ٢٦٦.

بل لابد من الكلام بالخير، ونقل: انهم تذاكروا عند الاحنف بن قيس: أيهما افضل الصمت او النطق؟ فقال الاحنف: النطق افضل، لان فضل الصمت لايعدو صاحبه، اما المنطق الحسن فينتفع به من سمعه . . وقال عمر (رضي): اني لأرجو ان يكون المتكلم على علم افضلهما يوم القيامة حالا، لان منفعته للناس، وهذا صمته لنفسه، وروى ذلك التفضيل عن كثيرين من السلف[1].

س٣) ذكروا ان للضيف جائزة، فماهي؟ جـ٣) هي المبالغة في اكرامه في اول يوم وليلة من نزوله، روى عن مالك رحمه الله، قال: جائزته يوم وليلة، يكرمه ويتحفه ويخصه . . .[2].

س٤) أذكر حكم الضيافة عند الفقهاء؟ جـ٤) سنة عند الجمهور، خلافاً لليث واحمد كما سبق أي في مدة الجائزة، وروى عن احمد خاصة: انها واجبة على اهل البادية والقرى دون المدن، وقد تأول الجمهور الاحاديث على تأكد حق الضيف واستحبابه[3].

وقال طائفة من اهل الحديث: الاظهر ان الجائزة لاتجب الاعلى من يجد ما يضيف به، تمسكاً بقوله (ﷺ). فيما روي عنه: نهانا رسول الله (ﷺ) أن نتكلف للضيف ماليس عندنا[4].

س٥) كيف يكون حسن الجوار؟ ، او كيف فهم السلف حسن الجوار؟

جـ٥) ذهب احمد بن حنبل الى انه يجب على الجار ان يبذل لجاره ما يحتاج اليه ولا ضرر عليه في بذله، قال ابن رجب الحنبلي: واعلى من ذلك: ان يصبر على اذى جاره، ولايقابله بالاذى، وقال الحسن البصري: ليس حسن الجوار كفّ الاذى ولكن حسن الجوار: احتمال الاذى[5].

س٦) اذكر بعض المواضع التي يحمد فيها الكلام؟

س٧) اذكر ثلاثة من آداب الضيافة وأحكامها.

---

(١) الجامع ص ١١٦، ١١٧

في الاعتصام للشاطبي: دخل على بن يوسف الهمذاني المقرىء على أبي بكر الخوارزمي، فلزم السكوت، فقال له: تكلم، فان أصبت كنت مفيداً وان اخطأت كنت مستفيداً ج٢ ص ٦. وفي رياض الصالحين: باب النهي عن صمت يوم الى الليل/ ص ٥٨٤. / وانظر الفرقان لابن تيمية ص٤٧

(٢) راجع مبحث روايات الحديث. (٣) شرح مسلم ج١٢ ص ٣٠.

(٤) الجامع ص ١٢٣. (٥) السابق ص ١٢١.

س٨) ذكروا فرقاً بين الصمت والسكوت، وضح ذلك؟ جـ٨) الصمت يكون مع القدرة على الكلام بخلاف السكوت، وقيل غير ذلك.

س٩) ورد مايدل على ذمّ الصمت في مواضع، وضح ذلك جـ٩) اورد النووي في اذكاره عنه (ﷺ) ان اهل الجاهلية كان من نسكهم الصمت، فنهوا وامروا بالذكر والحديث بالخير[١].

س١٠) هل المزاح يدخل فيما يباح من الكلام، ام فيما يستحب الصمت عنه؟ جـ١٠) قال العز: ولذا حرّم اوكره المزاح المؤذي، وانما كان (ﷺ) يمزح جبراً للمزوح معه، وايناساً وبسطاً، مع اشتراط الصدق في المزاح، فيخرج بذلك: المزاح المؤذي، والذي لا يقصد به مقاصد معتبرة في الشرع، وانما هو إما لمجرد السخرية، وإما لمجرد الاضحاك من غير حاجة الى إيناس[٢].

س١١) اذكر فائدتين للصمت؟ جـ١١) الصمت يجمع للرجل خصلتين: أ) السلامة في دينه (ب) الفهم عن صاحبه.

س١٢) اذكر حديثاً في بيان خطر الكلام بدون تدبر؟ جـ١٢) «ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوي بها في النار»[٣].

س١٣) ذكروا للكلام شروطاً، لايسلم المتكلم من الزلل الا بها، فماهي؟ جـ١٣) أ) ان يكون للكلام داعٍ ب) ان يكون في موضعه جـ) على قدر الحاجة د) ان يتخير اللفظ المناسب[٤].

س١٤) نذر شخص ان يصوم عن الكلام يوماً، ماحكم ذلك جـ١٤) لايجوز لانه (ﷺ) نهى عن ذلك.

س١٥) يرتبط هذا الحديث باحاديث اخرى في الأربعين، وضح ذلك.

جـ١٥) أ) بحديث ٢١ ـ لايؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به،

---

(١) الاذكار ص ٣٦٢.

(٢) القواعد ج٢ ص٢١١، وقال النووي في الاذكار: النهي: عن الممازحة المفرطة لانها تورث قسوة القلب وتشغل عن ذكر الله ص٢٩.

(٣) شرح مسلم ج١٨ ص ١١٧.

(٤) ادب الدنيا ص ٢٦٦.

لانه من طبق هذا الحديث، صار لايتكلم الا بما يرضي الله تعالى ولايجري في كلامه مع الهوى

ب) وبحديث ٣٥ ـ لاتحاسدوا ولا . . . ، لان معظم هذه المنهيات يجيء من جهة اللسان حـ) وبحديث ٣٤ ـ انكار المنكر باللسان، هو من قول الخير ومما يحرم السكوت عنه مع القدرة د) وبحديث: لاضرر ولاضرار، لان ماليس بخير إما ضار او غير نافع هـ) وبحديث ٢٩ ـ حديث معاذ: حيث اعتبر ملاك الامر كله فيما يدخل الجنة ويجنب الدخول في النار: ان يكف لسانه، لان حصائده هي معظم أسباب دخول النار و) وبحديث ٢٦ ـ والكلمة الطيبة صدقة، مما يظهر بعض مواضع قول الخير ز) وبحديث ٢٥ ـ : ان بكل تسبيحة صدقة . . . . الخ مما يدل على افضل وسائل ضبط اللسان وتصريفه فيما ينفع من الكلام وهو ذكر الله تعالى ح) وبحديث ١٣ ـ لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه، لان من تحقق بهذا المقام، لم يقصر عن اكرام الضيف والاحسان للجار كما ينبغي لهما ط) وبحديث ١٢ ـ من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه، فما لاخير فيه من الكلام هو مما لايعني المسلم ي) وبحديث ١٠ «إن الله لا يقبل إلا طيباً»، وهو شامل للاعمال والاقوال، فهو مؤكد لقوله: قل خيراً، ولأمره باكرام الضيف والاحسان للجار ـ ك ـ وبحديث ٧. «الدين النصيحة» لانه يبين بعض مجالات قول الخير: وهو النصح.